﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾ [الأعراف: 83]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إنجاءُ المؤمنين الصّالحين أهمُّ من إهلاكِ الكافرين المارقين

لمّا تسبَّبَ عن عنادِهم إهلاكُ القوم، وإنجاءُ الرّسول، وكانَ الإعلامُ بإنجائِه - معَ كونِه يفهمُ من إهلاكِهم - أهمَّ، قال: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[1]، وأيضًا لمّا همَّ قومُ لوطٍ بإخراجِه ونفيِه ومَن معَه مِن بينِ أظهرِهم، كان كأنَّه قيلَ: فما كان حالُ لوطٍ ومَن معَه؟ فذكرَ اللّهُ تعالى أنّه أنجاه وأهلَه سالمين، إلّا امرأتَه كانت منَ الغابرينَ، وبيّن نوعَ العذابِ ليتحقَّقَ الإهلاكُ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾: أصلُ النَّجاء: الانفصالُ منَ الشَّيء، ومنه: نَجا فلانٌ من فلانٍ، والنَّجاءُ: الخَلاصُ مِنَ الشَّيءِ بانفصالِه عنه من خطرٍ، فهو خلوصٌ بصعوبةٍ، وكلُّ ما في القرآن منَ التَّركيب، هو بمعنى الخلوصِ من خطرٍ محدقٍ أو عذابٍ أو غرقٍ أو كربٍ أو غيرِه، ممّا هو في معناه، ما عدا صيغتي (ناجَى)، (تَناجى)[3]، والنَّجوَةُ والنَّجاةُ: المكان المرتفع الّذي تظنّ أنَّه نَجاؤُكَ لا يعلوه السّيل. قال الشّاعر:

ألَم تَرَيا النُّعمانَ كانَ بنَجوَةٍ *** مِنَ الشَّرِّ لَو أنَّ امرَأً كانَ ناجيا[4]

و(نَجا) مِن كَذا يَنجو (نَجاءً) بالمَدِّ، و(نَجاةً) بالقَصرِ. والصِّدقُ (مَنجاةٌ). و(أنجَى) غَيرَهُ و(نَجّاهُ)، وقُرِئَ بهما قَولُهُ تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: 92][5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/457 - 458.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/142.
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نجو).
(4) البيت من شعر زهير بن أبي سلمى. الجوهريّ، الصّحاح: (نجا).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (نجا).

2) ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: الغبارُ: ما يبقى منَ التُّرابِ المُثارِ، والغابرُ منَ اللَّيل: ما بقيَ منه، والغابرُ الباقي بعدَ مضيّ ما هو معه، وجاء في الكلامِ الغُبْرة - بالضّمّ: وهي اللّون الّذي يشبهُ الغُبار، ومعنى (الغابرين) الباقينَ في عَذابِ اللّهِ، أو الهالِكينَ؛ لأنَّ الباقي في عذاب اللّه يهلكُ[1]. فالغابرُ هو الباقي، ومِنه قَول اللّه جلّ وعزّ: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾؛ يَعني: مِمَّن تخلّفَ فلم يمضِ مَعَ لوطٍ ﷺ، قال عبيد اللّه بن عمر يَوم صفّين، وكانَ مَعَ مُعاويَة:

أنا عُبَيدُ اللّهِ يُنميني عُمَر *** خَيرُ قُرَيشٍ مَن مَضَى ومَن غَبَرْ[2]

❁ المعنى الإجماليُّ:

فأنجينا لوطًا وأهلَه المؤمنين به، حيثُ أمرناه بمغادرة ذلك البلد، إلّا امرأتَه، كانت منَ الهالكين الباقين في العذابِ مع قومِها[3]، "وكانت كافرةً مواليةً لأهل سَدومَ، فالْتَفَتَتْ، فأصابَها حجرٌ، فماتَت"[4].

تعجيلُ المسرَّة للمسامعين بإظهار إنجاء المؤمنين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾:

التّعبيرُ بالفاء هنا جلالٌ كاشفٌ عنِ التّعجيل بعقوبتهم؛ لشناعة فعلهم، وفيه أيضًا شفاءُ صدورٍ للمؤمنين بالانتقام منَ الكافرين المعاندين، فإنّهم لمّا أمروا بإخراجِ لوطٍ ﷺ كان إرسالُ العذابِ عليهم وإنجاءُ لوطٍ ومَن معه منَ المؤمنين، عقبَ قولِهم هذا ومسبَّبًا عنه.

شفاء صدور المؤمنين، بمعاجلة عقوبة الكافرين

بلاغةُ التّقديمِ في قوله: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾:

قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ هنا مقدَّمٌ من تأخيرٍ، والتّقديرُ: فأمطرنا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غبر)، وابن جرير، جامع البيان: 12/553، والسّجستانيّ، ص: 350.

(2) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، غريب الحديث: (غبر).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/551 - 553، ونخبة من أساتذة التّفسير، ص: 161.

(4) النّسفيّ، مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل: 1/584.

عليهم مطرًا، وأنجيناه وأهلَه، فقُدِّمَ الخبرُ بإنجاءِ لوطٍ ﷺ على الخبرِ بإمطارِهم مطرَ العذابِ؛ لقصدِ إظهارِ الاهتمامِ بأمرِ إنجاءِ لوطٍ ﷺ، ولتعجيلِ المسرَّةِ للسّامعين منَ المؤمنين، فتطمئنّ قلوبُهم لحسنِ عواقبِ أسلافِهم من مؤمني الأممِ الماضية، فيعلموا أنَّ تلك سنَّةُ اللّهِ في عبادِه[1]، ويؤيّدُ هذا المعنى أنّه لمّا كان إخراجُ لوطٍ وأهلِه بمثابة الطّرد، وفيه ما ظاهره الذّلّةُ، جاءَ التّعبيرُ بالإنجاءِ؛ للإشعار بخلاصِه من قومِه، ومن خطرِ العذابِ الّذي نزل بهم، كما يشيرُ اللّفظُ بدلالةِ النّجاءِ على الأرضِ المرتفعةِ، إلى أنَّ الإنجاءَ فيه معنى الرّفعةِ والعزّةِ، فأرادَ قومُ لوطٍ الذّلّةَ لهُ ولأهله المؤمنين، فجازاهم اللّهُ بالخلاصِ والرّفعةِ على القومِ المجرمين.

أراد الكافرون الهلاكَ والذّلّةَ للمؤمنين، فجازاهم اللهُ بالخلاصِ والرّفعة

مناسبةُ العطفِ على الضّمير في قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾:

عطف ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ على الضّمير العائد على لوطٍ ﷺ، فلم يقُلْ: (فأنجيناهم)؛ لإفادةِ تخصيصِ لوطٍ ﷺ بمزيدِ عنايةٍ ولطفٍ، وكأنّهما إنجاءان، إنجاءٌ للوط، وإنجاءٌ لأهله، عنايةً به، وتكريمًا لَهُ ﷺ، وإكرامُ أهله إكرامٌ له، ويظهرُ هذا المعنى الجليل لو قيل: فأنجيناه والمؤمنين.

نجاةُ الأهل تكريمٌ لقائدهم الرّمز لُوطٍ ﷺ

سرُّ الاستثناء: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾:

لمّا قال: ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ دخلت امرأتُه في الأهل، فجاء الاستثناءُ لإخراجها من حكمِ الإنجاءِ؛ لتأكيدِ هلاكِها وتقريرِه بما لايقبلُ التّأويلَ لدلالةِ الاستثناءِ على التّخصيص؛ للإشعارِ بشناعةِ الرِّضى عنِ الفعلِ القبيحِ وموالاة أهله.

شناعةُ الرّضى عنِ الفعلِ القبيحِ

بلاغةُ الاستئنافِ في: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾:

الجملةُ استئنافٌ وقع جوابًا عن سؤالٍ نشأ عن استثنائها من حكم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/236.

الإنجاء، كأنّه قيل: فماذا كان حالها؟ فقيل: كانت منَ الغابرين، فجاء الكلامُ بطريقِ الاستئناف؛ لإغناء السّائل أن يسألَ عن مثلِ هذا الأمر العظيم، ولتشويقِ المخاطبِ إلى معرفة مصير زوجةِ لوطٍ عليه السلام الّتي والَت قومَها[1].

لا شفاعةَ في النّجاة لأيّ علاقةٍ سوى الإيمان

دلالةُ التّعبيرِ بلفظ ﴿كَانَتْ﴾:

يحتملُ لفظُ ﴿كَانَتْ﴾ أن يكونَ بمعنى (صارت)، والمعنى: تغيَّر حالُها منَ الإيمانِ إلى الكفرِ، فإنَّ لوطًا لا يتزوّجُ كافرةً، والمعنى: انتقلَت وصارَت منَ الغابرين، بعدَ أن لم تكن منهم، أو أن يكونَ بمعنى: (كانَت في علمِ اللّه)، أو أن يكونَ الفعلُ باقيًا على ظاهرِه وأصلِه، من تقييدِ غُبُورِها بالزَّمانِ الماضي[2].

انتقالُ زوجةِ لوطٍ إلى الكفرِ بعدَ أن كانَت مؤمنةً

دلالةُ (مِنَ) في ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾:

قد يُقال لو قيل: (إلّا امرأته كانت غابرةً) لكان أوجزَ وأوفى للمعنى، والجوابُ أنّه ليسَ كذلك، وبينهما فرقٌ، فإنَّ ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أشدُّ من (كانت غابرةً)، وبيانُه أنّه لمّا كانت (أل) في قوله: ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ جنسيَّةً، دلَّت على أنّ مَن لم يُنجِّه اللّهُ تعالى مِن ذلك العذاب، هو واحدٌ منَ القومِ المعروفين بالغابرين، ومعدودٌ منهم، فيكونُ قد أثبتَ كونَها غابرةً بطريقةٍ تشبهُ الاستدلالَ؛ لثبوتِ البقاءِ مع الهالكين لها بطريقِ اللّازم، فما دامت مع الهالكين، فهي هالكةٌ.

قوّةُ القرابةِ مع الكفر، تؤذنُ بشدّة العذاب

بلاغةُ التّغليب في قوله: ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾:

لم يقُل: (منَ الغابرات)، مع أنّه وصفٌ لامرأة لوطٍ عليه السلام؛ لأنَّه أُريد أنَّها ممَّن بقيَ مع الرِّجالِ؛ لأنّها كانت كافرةً مواليةً لأهلِ سَدُوم، فلمّا ضُمَّ ذكرُها إلى ذكرِ الرِّجالِ جاءَ الكلامُ على تغليبِ

الرّضا بالفاحشة يشبهُ ارتكابَها

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 9/207، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/246، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/437.

(2) أبو حيّان: البحر المحيط: 5/102.

الذُّكورِ على الإناثِ، كما أفادَ التّغليبُ بيانَ استحقاقِها لِما يستحقُّه المباشِرون للفاحشةِ، فإنَّ مَن رضيَ بشيءٍ نُسِبَ إليه[1].

المتشابه اللّفظيّ:

متشابهُ نظمِ الآية بين الأعراف والنّمل

قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النّمل: 57]، الجواب عن ذلك: "أنّ هذه القصّةَ في سورة النّمل نازلةٌ قبل القصّة الّتي في سورة الأعراف، وإذا بنينا على هذا، فإنّ قولَه: ﴿قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النّمل: 57]؛ أي: كتبنا عليها أن تكونَ منَ الباقين في القرية، الهالكين مع أهلها، فلمّا ذكرَ في الآية المنزلة أوّلًا أحالَ في الثّانية على الأولى في البيان، فقال: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾؛ أي: في تقدير اللّه الّذي قدّره لها، وأخبر فيما قَبلُ عن حكمِه عليها"[2]، "ووجه اختصاص ﴿كَانَتْ﴾ بآية الأعراف ليناسبَ إيجازًا قوله: ﴿أَخْرِجُوهُم﴾، وقوله في النّمل: ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ ليناسبَ ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ [النّمل: 56]"[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(امرأته) و(زوجه):

الاستقراءُ القرآنيُّ يدُلُّ على أنَّ لفظ (زوج) يشيرُ إلى التّوافق بين الزّوجين، وليس كذلك لفظ (امرأة)

جرى النّظمُ الكريمُ على استخدام لفظ (زوج)، حينما تكون امرأةُ الرّجل متوافقةً مع الرّجل توافقًا تامًّا عقديًّا ونفسيًّا ولها منه ذرّيّة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الرّوم: 21]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النّحل: 72]، وقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: 90]، ويستخدمُ لفظُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/551، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/126، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/102، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/246.
(2) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 2/603.
(3) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/551.

(المرأة) حينما يكون بينهما اختلافٌ من وجهٍ منَ الوجوه السّابقة، فامرأةُ عمرانَ ذكرَت بهذا الوصف بَعْدَ وفاة زوجها، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران: 35]، والمذكورات في الآيات ذُكِرْنَ بوصف المرأة لا الزّوجة؛ للاختلاف في الاعتقاد، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التّحريم: 10 - 11]، لذا استخدم القرآنُ الكريمُ في هذا السّياق الزّوجةَ بوصف المرأة، ولو وقع غير ذلك لما كان مناسبًا.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»